20 me. année No 970

Le Caire 4 — 2 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ٤ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

بداية النهاية

للأستاذ سيد قطب

أيا كانت الظروف والأحوال ، فإن الاستعمار الغربى قد بدأ نهايته . بدأها فى كل مكان ، وبخاصة فى العالم العربى الإسلامى الذى يصطدم بالاستعمار اليوم فى جبهات متفرقة ، ولكنها كلها متصلة .. يصطدم به اصطداما ظاهرا واضحا فى مصر ، وفى تونس ، وفى مراكش ، وفى إيران ، كما يصطدم به اصطداما خفيا فى العراق وفى سورية . وحركة الجزائر ما تزال مستمرة ، وفى هذه الأيام يقع اصطدام جديد على حدود اليمن . . وكلها حركة واحدة للخلاص . وكلها تشير إلى النهاية المحتومة رغم جميع الظروف والأحوال

ولقد كانت فرنسا تصطدم بالشعب التونسى وتسلط عليه الحديد والنار ، فى الوقت الذى تصطدم فيه انجلترا بشعب الوادى وتسلط عليه الحديد والنار .. نفس الوسائل ، ونفس الأهداف ، ونفس العقلية : عقلية الاستعمار ، وعقلية المكافحين ضد الاستعمار

إنها لم تعد حركات وقتية متقطعة محلية ، تخمدها هجمة هنا وهجمة هناك . إن الشعوب بأسرها تندمج فى هذه الحركات التحريرية . وبذلك تصبح هذه الحركات قوة تمثل اتجاه الزمن ، وتشير إلى إرادة الله فى الأرض ، وتستمد الوقود من الشعوب لا من الأفراد .. وهيهات هيهات أن تقف القوة ضد اتجاه الزمن ، وضد إرادة الله !

ولقد كان الاستعمار يلجأ دائما إلى الهيئات الحاكمة فى كل بلد مستعمر ، فيستعين بها على الشعوب ؛ ولكن الهيئات الحاكمة لم تعد تملك أن تقف فى معزل عن حركة الشعوب . . وها نحن أولاء نرى مصداق هذا القول فى مصر وفى تونس على السواء

فى مصر كانت حركة إلغاء المعاهدة تلبية مباشرة لضغط الشعب . . ولقد تغيرت الوزارة وجاءت وزارة سواها ، فكان أول تصريح لرئيس الوزارة الجديدة هو السير فى نفس الطريق التى رسمها الشعب ، وإعلان الأهداف ذاتها بلا تلعثم ولا تردد ؟ لأن إرادة الشعب الواضحة لا يمكن أن يتجاهلها متجاهل ، مهما تغيرت الوزارات

وكان الحال كذلك فى تونس . فالوزارة هى التى تصطدم بالاستعمار هناك ، مع الشعب خطوة بخطوة . ورئيس الدولة الأعلى هو الذى يقف فى وجه العاصفة ، فيعرض قصره للحصار ، ويعرض عرشه للزوال ، ويعرض نفسه للهلاك .. ولكنها إرادة الشعب القاهرة ، التى تمثل حركة الزمن ، والتى تمثل إرادة الله

والله غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وما من شك أن النصر فى معركة الحرية لطلاب الحرية سواء وقفت الهيئات الحاكمة مع الاستعمار أو ضد الاستعمار . ولكن وقوف هذه الهيئات الحاكمة فى كل مكان بجانب الأهداف الشعبية سواء أكان ذلك اختيارا أم اضطرارا ، هو أمر له دلالته وله معناه .. ومعناه الواضح الصريح : أن حركة التحرير . وأن قوة الشعوب ، قد بلغت المرحلة التى تجرف معها خصومها وأنصارها على السواء ، والتى تتحكم فى الموقف ، وتملى على الهيئات الحاكمة ما تشاء

ولو لم يكن إلا هذه الظاهرة وحدها لكفى بها دليلا على قرب النهاية ، لتقلص ظل الاستعمار البغيض ، الذى دام أكثر مما ينبغى ، وعاش أكثر مما تقتضى طبيعته أن يعيش.. ولكن هذه ليست الظاهرة الوحيدة فى معركة التحرير .. فالظاهرة الأخرى فى المعسكر الآخر هى ظاهرة الضيق والتبرم العنيف بالحركات التحريرية ، ظاهرة هياج الأعصاب ، وفقدان الصبر ، والفزع والقلق والاضطراب .. ولهذه الظاهرة دلالتها على الضعف الذى ينشأ عنه الزعر والهلع . فدولتا الاستعمار الغربى : انجلترا وفرنسا كلتاهما تعانى حالة من الإفلاس المالى والضعف العسكرى ، تشير إلى بداية النهاية كذلك . وليست واحدة منهما أو كلتاهما بقادرة على خوض معركة طويلة الأمد مع الشعوب التى لا تفنى . لا مواردها المالية ولا مواردها العسكرية تسمح لها بخوض مثل هذه المعركة ، فى أرض خارجية تفصلها عنهما مئات الأميال ؛ لذلك تريدان أن تضربا حركات التحرير ضربة قاضية ، سريعة ، قبل أن ينكشف ضعفهما ، لعل هذه الضربة أن تخلصهما من التكتل الشعبى الذى تصطدمان به فى كل مكان

ولكن هيهات هيهات ! لقد مضى الزمن الذى كانت الحركات الشعبية فيه لا تزيد على أن تكون فورات وقتية ، تطفئها ضربة قوية ، أو انقلاب سياسى ، أو مناورة دبلوماسية .. لقد استحالت الحركات الشعبية تصميما شعبيا لا يتزحزح — مهما تغيرت الأحوال — وإرادة واعية تحتمد وقودها من رجل الشارع ، لا من المفكرين والمتحمسين والزعماء

ولا أحسب أن انجلترا أو فرنسا تشك لحظة فى النهاية المحتومة ؛ فإن تجارب البشرية كلها معروضة أمامهما ؛ وهذه التجارب كلها تؤكد أنه ما من فكرة اعتنقها جمهور الشعب ، حتى صارت فكرته الخاصة ، أمكن أن تقف فى طريقها قوة من القوى ، فى أى زمان أو مكان .. ولكن الاستعمار إنما يتشبث بمواقع أقدامه ليحصل على بعض الامتيازات الأخيرة فى مقابل الجلاء . وحتى هذه الامتيازات قد أدركها الوعى الشعبى ، واحتاط لها ، وما عاد يسمح بشىء منها على أى شكل من الأشكال

لقد حرق الاستعمار مراكبه مع الشعوب ، بما ارتكب معها من حماقات . وبخاصة فى هذه الحركات الأخيرة . ولقد استحال الصراع بينه وبين الشعوب . ثارات مقدسة ، وأحقادا عميقة . فما عاد يمكن أن تستجيب الشعوب لأى صوت يدعوها إلى الارتباط بعجلة الاستعمار على أى وضع من الأوضاع

وكل من يتصور أن الشعوب سترجع القهقرى عن موقفها الذى انتهت إليه ، تحت أى ظرف ، وتحت أية مناورة .. إنما يخطئ فى فهم طبيعة الحركات الشعبية ، وينسى عبر التاريخ وشواهده .. إن كل خطوة يكسبها الشعب لا يمكن أن يتخلى عنها ، لأن حركة الشعب هى حركة الزمن . والزمن لا يرجع القهقرى ، ولا يتحرك مرة إلى الوراء

ولقد يخفت صوت الشعوب أحيانا ، وتتوارى حركاتها .. ولكن هذا ليس إلا ستارا ظاهريا لحركات خفية إلى الأمام . حركات تتم فى ضمير الشعب ، وتنضج فى أعماقه ، ثم تبدو فى صورة ثورة جديدة ، وقفزة واسعة ، يخيل إلى بعض الناس أنها مفاجئة . وليست فى حقيقتها إلا امتدادا طبيعيا لم تظهر خطواته ، لأنها كانت تتم فى صمت ، فى أثناء فترة السكون

إنها بداية النهاية ، فعلى بركة الله فلتسر مصر ، ولتسر تونس ، وليسر كل بلد يشتبك اليوم فى معركة التحرير الخالدة التى أوقدها الله ...

سيد قطب